

## الدرس الأول

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، اللهم صل وسلم وبارك، على عبدك ورسولك محمد، وعلى آله وصحابه أجمعين، وعلى من تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

### فضل العلم .

- صاحب العلم له رفعتان: رفعة عامة، ورفعة خاصة، الرفعة العامة والخاصة اجتمعتا كما قال بعض أهل العلم في قوله تعالى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: 11]، فأهل الإيمان رفعتهم عامة على غيرهم ممن ليسوا من المؤمنين، والرفعة الخاصة رفعة أهل العلم على سائر أهل الإيمان، ممن ليسوا من أهل العلم

### تعريف التفسير.

- وقد ذكر أهل العلم في تعريف التفسير تعاريف كثيرة، قال بعضهم:  
✓ إنَّ التفسير في اللغة مأخوذ من التفسرة، والتفسرة آلة يدوس بها الطبيب بدن المريض.  
✓ وقيل: مأخوذ من مَسْفَرَة؛ لأنها تُسفر عن وجه الأرض.  
✓ وقيل مأخوذ من الإسفار، وهو الإظهار، فالتفسير يُظهر ما يخفى من معاني، أو من حكم من أحكام الآيات للناس.  
✓ تعريف التفسير اصطلاحاً أو شرعاً، بأنه علم يُفهم به كتاب الله، المنزل على محمد -صلى الله عليه وسلم-، ويُستخرج من ذلك حكمه وأحكامه، ويُستمد من علوم اللغة، والنحو، وما يتبع ذلك من كتب أسباب النزول.

### أهمية علم التفسير.

- هذا العلم من أعظم العلوم، وقد أقول ما بها سُبِقَتْ بأن هذا العلم أسميه أنا أبو العلوم؛ لأن فيه علم الاعتقاد، وفيه علم الفقه، وفيه علم السلوك والرقائق، وفيه علم النحو، ومن أهمية هذا العلم أنه يزيد الإنسان بصيرة بكلام الله تعالى،

### طريقة تعين أو ترسيخ فهم الآيات في الذهن.

- ❖ الأمر الأول: أول أمر في هذه القضية: الدعاء، أن تدعو الله تعالى أن يرزقك العلم النافع والعمل الصالح.
- ❖ الأمر الثاني: تعيد قراءة السورة؛ لأن التكرار يزيد رسوخ الألفاظ.
- ❖ الأمر الثالث: أن ترى الألفاظ الغريبة في السورة، التي لا بد أن ترجع إلى كتب التفسير، أو اللغة.
- ❖ الأمر الرابع: أن تأخذ الآية الأولى، تقرأ فيها، ثم تحاول وتشحد الذهن: فتذكر فوائد من هذه الآية، ثم هكذا إلى آخر السورة، ثم تعيد القراءة مرة أخرى، لعلك تزيد فائدة، أو تبعد فائدة غير واردة في الموضوع.

### من أسباب رسوخ الفهم لسور القرآن .

- ١) أن تقرأ بالسورة في صلاتك.
- ٢) مما يعين على بقاء الفهم ورسوخه: أن تُعلِّم غيرك.
- ٣) مما يتعلق بترسيخ فهم السورة: الرجوع إلى كتب علوم القرآن.

### سورة تبارك.

- هل أسماء السور توقيفية يعني بالوحي؟ أو اجتهادية من الصحابة -رضي الله عنهم-؟.

ففيها أشياء جاءت مسماة بالوحي، وأشياء من الصحابة.

### سورة تبارك، لها أسماء كثيرة.

- تسمى: "تبارك"، و"الملك"، وهذان الاسمان هما أشهر الأسماء.
- وتسمى: "تبارك الملك"، لماذا؟ بعض السور يكون البدء فيها بلفظ واحد، فلا تُعرف السورة من أختها إلا بالتمييز.
- وتسمى المانعة، والمنجية، والمجادلة، والواقية، والمناعة.
- هذه السورة نزولها مكّي، وسورة تبارك من فضائلها أنها سورة دافعت عن صاحبها حتى أنجته من عذاب القبر، وقال بعض شراح الحديث أن المراد ليس قراءتها فقط بل القراءة والعلم والعمل بها.
- من مواضع قراءة هذه السورة، جاءت في بعض الأحاديث أن النبي -عليه الصلاة والسلام- كان يقرأها عند النوم.
- ❖ الآية الأولى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ [تبارك: 1].
- تبارك: تعظيم وتقديس، قيل مَنْ كَثُرَتْ بركته وعظمت خيراته، وأعظم البركة والخيرات خيرات الله تعالى وبركاته.
- وهذه الأرزاق التي نعيشها، والنعمة التي نستشعرها الحسية والمعنوية كلها من بركات الله تعالى وخيراته.
- قال بعضهم: إن من أسماء الله تعالى "المبارك" أخذًا من هذه الآية، ولكن أسماء الله توقيفية.
- ❖ ﴿الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [تبارك: 1].
- مُلْكُ الله تعالى كامل، قد بلغ في الحسن أعلاه، وفي الكمال منتهاه، لا يعتريه نقص ولا خلل.
- ❖ ﴿وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾
- قالوا: هذا من تمام الملك، يَمْلِكُ المُلْكُ التام، ولا يمتنع عليه فعل أي شيء، بل هو على كل شيء قدير، وكل شيء عليه يسير.
- ماذا نستفيد من هذه الآية؟ دائما ربط الآيات بالتوحيد هو المطلب الأسى والأكمل، هذه الآية نأخذ منها توحيد العبادة.
- ❖ الآية الثانية: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ﴾ [تبارك: 2].
- قدم الموت: لأنه أدعى للتأثر، وأدعى للإقبال على الطاعة، فتقدمه على الحياة من باب شحذ الهمم، والاجتهاد في العمل.
- خلق الموت والحياة لحكمة، كل ما خَلَقَ الله عز وجل وَأَمَرَهُ ونهى عنه فهو لحكمة، هذه الحكمة قد تظهر وقد تخفى.
- ❖ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ﴾
- يعني: هذه من جِغَمِ خلق الموت والحياة، الدنيا دار بلاء وابتلاء، ومن كمال عدل الله وحكمته أنه أقام الحجة وأوضح المحجة.
- ❖ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
- ليس المراد كثرة العمل، إنما المراد حسن العمل قبل كل شيء، ولهذا ذكر بعض المفسرين أثرًا عن الفضيل بن عياض رحمه الله تعالى أنه قال: "أحسن عملا ما كان صوابًا خالصًا"، فالخالص أن يكون لله تعالى، والصواب أن يكون على هدي سنة النبي صلى الله عليه وسلم.
- ❖ ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾
- عزيز في أحكامه، وغفور لمن أطاعه، ولمن عصاه -إذا تاب توبة نصوحًا-، يغفر ذنوب الطائعين السالفة لطاعتهم، ويغفر ذنوب المسيئين إذا تابوا توبة نصوحًا.
- ❖ ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾
- نستفيد من هذه الآية أن كثرة العمل لا يُمدح بها صاحبها، ولا تُشفع له، إلا إذا كان العمل كما تقدم أنفًا خالصًا لله تعالى، موافقًا لهدي النبي عليه الصلاة والسلام، فكثرة العمل لا تنفع إلا إذا كان صاحبها على بصيرة من عمله.
- ❖ ﴿الَّذِي خَلَقَ سَنَعٌ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَّا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [تبارك: 3]، هذه الآية الكريمة تضمنت ذِكْرَ خَلْقِ السماوات، وفي آية أخرى السماوات والأرض.

﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ﴾

ليس في خلق الرحمن خلل، بل خلق الرحمن كمال في جميع الأحوال، خلق الإنسان، خلق السماء، خلق الأرض.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾

الفتور الشقوق، وارجع البصر، أي: أعد البصر، نستفيد فضل التأمل والتفكير في خلق الله تعالى.

فالنظر في السماوات وفي الآيات الكونية يزيد العبد إيمانا بالله.

﴿فَارْجِعِ الْبَصَرَ﴾

تأمل في مخلوقات الله، حتى ذكر بعض المفسرين أن من السنة إذا قام الإنسان من الليل أن ينظر في السماء،

﴿ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [تبارك: 4]

من أعاد البصر والتفكير في خلق الله تعالى سيستفيد أمور عظيمة، كمال خلق الله تعالى لهذه المخلوقات، تجده خوفاً ومحبة لله تعالى، يزيد تعظيم الله تعالى في قلبه.

﴿يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾ [تبارك: 4]،

لو أراد الإنسان ينظر في هذا الملوكوت، مهما بحث عن عيب فلن يجد عيباً، والبصر يرجع خاسئاً.

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [تبارك: 5]،

﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ هي النجوم، وهي زينة في ذاتها للسماء، ورجوم للشياطين وهداية للمسافرين.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ [تبارك: 6].

ما يظلم ربنا أحداً، وهؤلاء الكفار قامت عليهم الحجة، ووضحت المحجة عليهم، وجاء الوعيد، عذاب جهنم.

﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾

نعم بئس المصير، أبأس مصير من كان مصيره النار.

﴿إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ﴾ [تبارك: 7].

أنه لو عذب الإنسان بصمت عذاب، لكن إذا كان فيه أصوات مزعجة، وضوضاء يجتمع عليه زيادة في العذاب.

﴿تَكَادُ تَمَيِّزُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ [تبارك: 8]،

يعني شناعة في فعل النار، تتفرق تنقطع من غيظها، وأصوات شهيقة، وبئس المصير.

﴿كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلْتَهُمْ خَزَنَتُهُمْ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾ [تبارك: 8]،

الله تعالى جعل هذا السؤال حتى تنقطع المعاذير، وإلا فالله لو عذبهم بدون حساب ما ظلمهم، لكن لهلك من هلك عن بينة.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ﴾

استفهام، لا مجال للإنكار،

﴿قَالُوا بَلَىٰ﴾

لابد من اعتراف، ما يستطيعون،

﴿قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ﴾

ثم بينوا سبب إعراضهم،

﴿فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْتُمْ﴾

يعني الرسل وأتباع الرسل ﴿إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ﴾ [تبارك: 9].

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وسلم تسليماً كثيراً إلى يوم الدين.